تفسير إبن كثير

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ

يقول تعالى مسليا لنبيه ، وآمرا له بالتأسي بمن قبله من الرسل ، ومخبره بأنه ما بعث نبيا في قرية إلا كذبه مترفوها ، واتبعه ضعفاؤهم ، كما قال قوم نوح : (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) [الشعراء : 111] ، (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) [هود : 27] ، وقال الكبراء من قوم صالح : (للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون) [الأعراف : 75 ، 76] وقال تعالى : (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) [الأنعام : 53] ؟ وقال : (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها) [الأنعام : 122] وقال : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول) [الإسراء : 16] .

وقال هاهنا : (وما أرسلنا في قرية من نذير) أي : نبي أو رسول (إلا قال مترفوها) ، وهم أولو النعمة والحشمة والثروة والرياسة .قال قتادة : هم جبابرتهم وقادتهم ورءوسهم

في الشر . (إنا بما أرسلتم به كافرون) أي : لا نؤمن به ولا نتبعه .قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا هارون بن إسحاق ، حدثنا محمد بن عبد الوهاب عن سفيان عن عاصم ، عن أبي رزين قال : كان رجلان شريكان خرج أحدهما إلى الساحل وبقي الآخر ، فلما بعث النبي صلى االله عليه وسلم كتب إلى صاحبه يسأله : ما فعل ؟ فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش ، إنما اتبعه أراذل الناس ومساكينهم . قال : فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال : دلني عليه - قال : وكان يقرأ الكتب ، أو بعض الكتب - قال : فأتى النبي صلى االله عليه وسلم فقال : إلام تدعو ؟ قال : " إلى كذا وكذا " . قال : أشهد أنك رسول االله . قال : " وما علمك بذلك ؟ " قال : إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه رذالة الناس ومساكينهم . قال : فنزلت هذه الآية : (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون)] الآيات] ، قال : فأرسل إليه النبي صلى االله عليه وسلم " إن االله قد أنزل تصديق ما قلت " .وهكذا قال هرقل لأبي سفيان حين سأله عن تلك المسائل ، قال فيها : وسألتك : أضعفاء الناس اتبعه أم أشرافهم فزعمت : بل ضعفاؤهم ، وهم أتباع الرسل .